محاسن خصائص الإسلام

دكتور

محمد أبو الفتح البيانونى

الأستاذ المساعد بقسم الفقه والأصول فى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

بجامعة الكويت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن من المسلم به وجود خصائص عامة، وصفات خاصة، يتميز بها دين الإسلام عن غيره من الأديان والمذاهب البشرية، ذلك لأنه دين الله الخاتم الذى ختمت به الرسالات، ورسالته الخالدة إلى أن يرث الله الأرض والسماوات..

ولقد توزع الحديث عن خصائص الإسلام فى كتب العقائد والأصول، والفقه، وتناولته كثير من الكتابات الفكرية والدعوية، ولاسيما الكتابات الحديث، وقد اختلفت أساليب هذه الكتب فى التعبير عنها وفى طريقة عرضها، فمن مجمل لها ومفصل فيها..

كما اقتصرت جل الكتابات فيها على تعريف الخصائص وتعدادها، والتدليل عليها، دون تعرض غالباً لمحاسنها وآثارها وواقعها العملى فى حياة المسلمين..

من هنا: أحببت أن أعمل فى هذا البحث على تأصيل هذه الخصائص، وعرض المؤثرات العملية فيها، مشيراً إلى معالم أساسية فى طريق معالجة هذه المؤثرات، وسبيل التخلص منها، لتتجلى تلك الخصائص الإسلامية على أحسن وجه، وتفعل فعلها فى الدعوة الذاتية لهذا الدين الذى ينتشر بين الناس بخصائصه الذاتية قبل أن ينتشر بدعوة الناس إليه.

ويراد بمصطلح خصائص الإسلام: (الصفات المميزة للإسلام عن غيره، أو المزايا التى ينفرد بها الإسلام دون غيره).

لأن خصوصية الشئ فى اللغة: خاصيته، والخصيصة: الصفة التى تميز الشئ وتحدده، وجمعها خصائص[1].

---

(١) انظر «لسان العرب» لابن منظور (٧/٢٤-٢٥)و «المعجم الوسيط» (٢/٦٧٦).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولايستشكل فى هذا المقام اشتراك غير الإسلام من أديان إلهية أخرى معه فى بعض الخصائص، نظراً لوحدة المصدر والطبيعة، ذلك لأن المراد الأولى بذكر خصائص الإسلام تمييزه بها عن غيره من المذاهب البشرية التى تختلف عن الإسلام فى المصدر والطبيعة اختلافاً كبيراً.

ولأن اشتراك غير الإسلام مع الإسلام فى بعض الخصائص، إنما هو اشتراك نسبى، لا يخرج الإسلام عن التميز بها مطلقاً، لأنه إذانسبت بعض الخصائص إلى الإسلام كانت نسبتها إليه نسبة مطلقة، وإذا أطلقت الخصيصة على غيره كان إطلاقها نسبياً، كما يتضح ذلك فى خصيصتى الكمال والشمول..

ولما كان للإسلام خصائص عامة تتجلى فى كل مقاصده ونظمه وأحكامه، وكان له خصائص أخرى تتعلق بجانب من جوانبه، أو بحكم من أحكامه، تعارف العلماء على تسمية النوع الأول منها بالخصائص العامة تمييزاً لها عن الخصائص الفرعية والخاصة.

وسأقصر بحثى هذا على الخصائص العامة منها، مجملاً لها فى ست خصائص هى: الربانية، والكمال، والوضوح، والشمول، والتوازن، والعملية، بادئاً (بالربانية) لأنها أم الخصائص ومصدرها جميعاً، وخاتما (بالعملية)، لأنها ثمرة للخصائص جميعها ونتيجة لها، ومن هنا اخترت للخصائص هذا الشكل:

الربانية

الكمال　　الوضوح　　الشمول　　التوازن

العملية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ودفعاً للتداخل فى المصطلحات، وإزالة للبس فيها، سأشير عند اختيارى لمصطلح من هذه المصطلحات إلى المصطلحات الأخرى الشائعة عند الكاتبين فى الخصائص، مبرراً لذلك الاختيار.

وسأجعل الحديث عن الخصائص العامة فى سبعة فصول هى:

١- الفصل الأول: خصيصة الربانية.

٢- الفصل الثانى: خصيصة الكمال.

٣- الفصل الثالث: خصيصة الوضوح.

٤- الفصل الرابع : خصيصة الشمول.

٥- الفصل الخامس: خصيصة التوازن.

٦- الفصل السادس: خصيصة العملية.

٧- الفصل السابع: أبرز المؤثرات فى خصائص الإسلام، وطريق علاجها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الأول

خصيصة الربانية

الربانيـــة نســـبـــة إلى الرب جل جـلاله، قـال تعـالى: ﴿ولكن كـونوا ربانيين﴾[١]، أى علماء بالرب منتسبين إليه.

ولما كان دين الإسلام خاتم الأديان المنزلة من عند الله، وكـان الدين الذى ارتضاه الله لعباده، كانت الربانية أول صفة من صفاته، وأسمى خصيصة من خصائصه.

ويقابل هذه الخصيصة فى الأديان البشرية والمذاهب الوضعية (البشرية) لأنها أبرز صفة تميزها عن دين الله عز وجل.

ولماكانت الربانية مصدر المحاسن جميعها، وسر جمالها أطلقت عليها مصطلح (أم الخصائص) إذ عنها تنبثق الخصائص الأخرى، وإليها يعود سر جمالها وجسنها..

وعندما تطلق الربانية على الإسلام يراد بها أشمل معانيها لتشمل ربانية المصدر وربانية الغاية والهدف، وربانية المنهج، وما إلى ذلك..

ولايضير الإسلام أن تشاركه الأديان الربانية الأخرى فى هذه الخصيصة وغيرها مما ينبثق عنها، لاتحاد المصدر، وإن بقى تميز الإسلام عنها من وجهين:

أ- وجه الإطلاق والنسبية فى الإتصاف بالخصائص المنبثقة عنهاكالكمال والوضوح والشمول، والتوازن والعملية، فإن هذه الخصائص إذا أطلقت على الإسلام يكون اتصافه بها على سبيل الإطلاق، وإذا أطلقت علي غيره من الأديان الإلهية، فيكون اتصافها بها نسبياً، أى بالنسبة

---

(١) الآية ٧٩ من سورة آل عمران.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقومها وزمنها... فكل دين إلهى عملى بالنسبة لمن أرسل إليهم وفى زمنهم، أما الإسلام فهو الدين العملى المطلق، الذى يستمر فيه هذه الصفة إلى يوم القيامة..

ب- وجه اجتماع هذه الخصائص جميعها فى الإسلام فى وقت واحد، فهو الدين الربانى الكامل الواضح الشامل المتوازن العملى فى كل زمان ومكان، أما غيره من الأديان فقد يتصف ببعضها دون بعض نظراً لطبيعة وظيفته، ومناسبته لقومه.

ومن أدلة هذه الخصيصة: قوله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾(١)، وقوله: ﴿**قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين- قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين- لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**﴾(٢)، وقوله: ﴿**إنانحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾(٣)، وقوله: ﴿**ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا**﴾(٤)، وقوله: ﴿**وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله..**﴾(٥)، وقوله: ﴿**أفغير دين الله تبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون-**

---

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٢) الآيات ١٦١-١٦٣ من سورة الأنعام.

(٣) الآية ٩ من سورة الحجر.

(٤) الآية ١٧٤ من سورة النساء.

(٥) الآية ١٥٣ من سورة الأنعام.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون- ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾(١).

إلى غير ذلك من نصوص شرعية تصرح بهذه الخصيصة، وتؤكد عليها (٢).

---

(١) الآية ٨٣-٨٥ من سورة آل عمران.

(٢) قف على هذه الخصيصة فى كل من كتاب (الخصائص العامة للإسلام) للدكتور يوسف القرضاوى ص(٩-٥٥) الطبعة الثانية، وكتاب (خصائص الشريعة الإسلامية) للدكتور عمر سليمان الأشقر ص(٣٥ الطبعة الأولى، وكتاب (خصائص التصور الإسلامى) لسيد قطب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثانى

خصيصة الكمال

يراد بالكمال: الخلو عن النقص والعيب، فإذا نقص جزء من أجزاء الشئ، أو وجد فيه عيب من العيوب لايعد كاملا.

ومن هنا: كانت خصيصة الكمال فى الإسلام تعنى: خلو الإسلام عن النقص والعيب، وعصمته عن الخطأ فى أى جانب من جوانبه وأى حكم من أحكامه.

وترجع هذه الخصيصة إلى الخصيصة الأولى (الربانية) أم الخصائص، لأن الإسلام دين الله عز وجل الكامل المنزه عن كل نقص وعيب وخطأ، وماصدر عن الله فهو كامل بكماله، وما صدر عن غيره فهو قاصر بقصوره، قال تعالى: ﴿**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً**﴾(١)، وقال أيضاً: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾(٢)، وقال أيضاً: ﴿**الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا- قيما لينذر بأسا شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً**﴾(٣)، وقال: ﴿**قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون**﴾(٤)، وقال: ﴿**مافرطنا فى الكتاب من شئ**﴾(٥).

---

(١) الآية ١٨٢ من سورة النساء.

(٢) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٣) الآية ١-٢ من سورة الكهف.

(٤) الآية ٢٨ من سورة الزمر.

(٥) الآية ٣٨ من سورة الأنعام.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن مظاهر كمال هذا الإسلام: استيعابه لحاجات البشر جميعها الفردية والجماعية، والروحية والمادية، بجميع أنواعها وأشكالها، وسيأتى تفصيل هذا الجانب من جوانب الكمال فى الحديث عن خصيصة الشمول الموضوعى، إذ أن هناك نوعاً من التداخل بين خصيصة الكمال والشمول من هذا الوجه.

فقد يكون الشئ كاملاً غير شامل، نظراً لطبيعته ووظيفته، كما هو حال الأديان الإلهية السابقة، وقد يكون شاملاً غير كامل، نظراً لاستيعابه الحاجات، كما هو فى بعض المذاهب والتشريعات البشرية..

ومن مظاهر كمال الإسلام: انسجام تشريعاته وأحكامه، وخلوها عن الاضطراب والاختلاف، وسيأتى تفصيل هذا الجانب من جوانب الكمال فى الحديث عن خصيصة التوازن، إذ أن التوازن فى حقيقته نوع من الكمال.

ومن مظاهر كمال الإسلام: عصمته عن الخطأ فى الأحكام، فلا يصدر عنه إلا حق مطلق لايتطرق إليه الشك، قال تعالى: ﴿**ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين**﴾(١)، وقال: ﴿**تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين**﴾(٢)، وقال: ﴿**فلا تكن فى مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لايؤمنون**﴾(٣)، وقال: ﴿**وبالحق أنزلناه وبالحق نزل**﴾(٤)، وقال أيضا: ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى**﴾(٥)، وقال: ﴿**يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾(٦)، إلى غير ذلك من نصوص شرعية تصرح بخصيصة الكمال، وتؤكدها(٧).

---

(١) الآية ٢ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٢ من سورة السجدة.

(٣) الآية ١٧ من سورة هود عليه السلام.

(٤) الآية ١٠٥ من سورة الإسراء.

(٥) الآية ٣-٤ من سورة النجم.

(٦) الآية ٤٢ من سورة فصلت.

(٧) قف على بعض مظاهر هذه الخصيصة فى (الموافقات) للشاطبى (٢/٥٨-٥٩)، و(الخصائص العامة للإسلام) ص٤٨-٥٠، و(خصائص الشريعة الإسلامية) ص٣٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث

خصيصة الوضوح

الوضوح: الظهور والإبانة، ويقابله الخفاء والغموض، يقال فى اللغة: وضح الأمر يضح ضحة ووضوحاً: بأن وظهر [١].

فالمراد بوضوح الإسلام إبانته وظهوره، بحيث لايبقى فيه غموض ولاتعقيد، ويسهل على الناس عامة فهمه، وعلى العلماء خاصة الاستنباط منه، والاستدلال بنصوصه على مايعرض لهم من قاضايا..

والأصل فى وضوح الإسلام نزول كتابه القرآن الكريم بلسان عربى مبين، وإرسال رسوله ﷺ من خيرة العرب وأفصحهم.. مما جعل أحكامه وتشريعاته واضحة معانيها لجميع الناس، مهما اختلفت لغاتهم وألسنتهم، يمكن فهمها وترجتمها إلى جميع اللغات، ويمكن تطبيقها من قبل جميع الأمم..

قال تعالى: ﴿**إنا أنزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون**﴾[٢]، وقال: ﴿**وكذلك أو حينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها..**﴾[٣]، وقال: ﴿**كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون**﴾[٤]، وقال: ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**﴾[٥].

وجاء فى الحديث الشريف: «**قد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك..**»[٦].

---

(١) انظر (المعجم الوسيط) مادة (و ض ح) (٢/ ١٠٥٠).

(٢) الآية ٢ من سورة يوسف عليه السلام.

(٣) الآية ٧ من سورة الشورى.

(٤) الآية ٣-٤ من سورة فصلت.

(٥) الآيات ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠ من سورة القمر.

(٦) الحديث رواه ابن ماجه فى سننه، كتاب المقدمة، رقم (٥)، من برنامج الحديث الشريف لشركة صخر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والوضوح فى الإسلام ليس قاصراً على وضوح ألفاظه، ونصوصه، ولغته، وإنما يشمل وضوح المصدر والمنهل، ووضوح المنهج والأسلوب والوسيلة، فليس فى الإسلام غموض مطلقاً.

فمن وضوح مصادرة ماعبر عنه معاذ رضى الله عنه، لما سأله رسول الله ﷺ حين أرسله إلى اليمن: **كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟ قال: أقضى بما فى كتاب الله، قال: فإن لم يكن فى كتاب الله، قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم يكن فى سنة رسول الله ﷺ، قال: أجتهد رأيى لا آلو، قال: فضرب رسول الله ﷺ صدرى ثم قال: الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضى رسول الله ﷺ»**(١).

ومن وضوح أدلته: قوله ﷺ: **«إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما مشتبهات..»**(٢).

ومن وضوح منهجه ما أشار إليه القرآن بقوله: ﴿**إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم**﴾(٣)، وقوله: ﴿**وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**﴾(٤)، وقوله: ﴿**قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى**﴾(٥).

---

(١) الحديث ذكره ابن القيم محتجاً به فى كتابه (إعلام الموقعين) وتوسع فى تصحيح سنده، وضعفه بعض العلماء، من أن معناه صحيح، ومضمونه مسلم به عند جمهور العلماء، وتلقاه العلماء بالقبول، حتى قال بعض علماء الحديث عنه: (لما احتجوا به جميعاً، غنوا عن طلب الإسناد له) انظر (إعلام الموقعين) (١/٢٠٢، ٢٠٣).

(٢) الحديث متفق عليه، انظر صحيح البخارى، كتاب الإيمان، رقم (٥٠) ومسلم رقم (١٥٩٩).

(٣) الآية ٩ من سورة الإسراء.

(٤) الآية ١٥٣ من سورة الأنعام.

(٥) الآية ١٠٨ من سورة يوسف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن وضوح الغاية والهدف فيه، ماجاء فى قوله تعالى: ﴿ **وماخلقت الجن والإنس إلاليعبدون. ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون. إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين**﴾[١].

وما أكثر الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التى تؤكد خصيصة الوضوح وتثبتها[٢]!!

ولايتعارض مع خصيصة الوضوح فى الإسلام، وجود الاختلافات العلمية فى كثير من أحكامه بين العلماء، لأن هذه الاختلافات العلمية فى المسائل الشرعية لاتسبب غموضاً فيه، وإنما هى عملية توضيحية تدفع الغموض النسبى الناشئ عن طبيعة بعض الأدلة الشرعية، والتباسها على كثير من الناس.

فالحكم الشرعى فى المسألة الخلافية واضح فى الحقيقة لكل من المجتهد والمقلد، أما وضوحه للمجتهد فلأن المجتهد مكلف فيها بأن يعمل ويفتى بما توصل إليه باجتهاده وترجح عنده، وماتوصل إليه وترجح عنده هو الصواب والحق بالنسبة إليه، ومأجور فيه على كل حال.

وأما وضوحه للمقلد: فلأن من حقه تقليد من يثق به من العلماء، والعامى مذهبه مذهب مفتيه، ولايترتب عليه أى حرج أو إثم فى ذلك، أخطأ المجتهد فى المسألة أو أصاب.

نعم، لوكلف الشارع الناس بالعمل بالحق المطلق عند الله عز وجل فى المسألة الظنية الاجتهادية، لكان التكليف شاقاً على المجتهد والمقلد على السواء، وبقى الأمر غامضاً.

وسنتناول فى بحث خاص إن شاء الله محاسن الاختلاف العلمى من خلال الحديث عن محاسن الأدلة الشرعية.

---

(١) الآيات ٥٦-٥٨ من سورة الذاريات.

(٢) قف على بحث هذه الخصيصة فى (الموافقات) (٢/٦٤ ومابعدها) و (الخصائص العامة للإسلام) ص (١٨٧-٢١٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الرابع

خصيصة الشمول

الشمول: هو الإحاطة بجميع أطراف الشئ: مادياً كان أو معنوياً، فالمراد بشمول الإسلام: إحاطته بجميع متطلبات الحياة، ومايحتاج إليه الإنسان فى دنياه وأخراه، على جميع المستويات، ومختلف الأزمنة والأمكنة..

وفصل بعض الكاتبين فى الخصائص فى خصيصة الشمول، فجعلها مشتملة على خصيصتين أخريين، هما: خصيصة العالمية، وخصيصة الاستمرار والخلود.

ذلك لأن شمول الإسلام قائم من وجوه ثلاثة، هى:

١- **الشمول الموضوعى:** فشملت أحكامه الجوانب العقدية، والتشريعية، والأخلاقية، كما شملت الجوانب المادية والمعنوية، والدنيوية والأخروية..

٢- **الشمول المكانى:** فشملت رسالة الإسلام العالمين فى كل مكان وبقعه على وجه الأرض، حيث جاءت إلى الناس كافة، وهذا ما يعبر عنه عادة بخصيصة (العالمية) نسبة للعالم.

٣- **الشمول الزمانى:** فشملت رسالة الإسلام الزمن كله، من زمنه ﷺ إلى يوم القيامة، فكانت خاتمة الرسالات، وهذا ما يعبر عنه بخصيصة (الاستمرارية أو الخلود).

فإذا نص على خصيصة العالمية والاستمرارية مع خصيصة الشمول، انصرفت خصيصة الشمول إلى الجانب الموضوعى، وإذا اقتصر النص على خصيصة الشمول من دونهما، شملت هذه الخصيصة الشمول بجميع أنواعه، كما فعلت ذلك فى بحثى هذا رغبة فى الختصار والإجمال.

ومن أدلة الشمول الموضوعى ومظاهره:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تناول الشريعة الإسلامية جوانب العقيدة والمعاملة والأخلاق جميعها فى بيان أحكامها وتنظيمها فى حياة الناس، كما سيأتى معنا تفصيله فى بيان محاسن أنظمة الإسلام فى بحث مستقل.

قال تعالى: ﴿**مافرطنا فى الكتاب من شئ**﴾(١)، وقال أيضا: ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين**﴾(٢).

ومن ذلك عناية الشريعة الإسلامية بالعلاقة البشرية الثلاث جميعها، سواء علاقة العبد بخالقه، أو علاقته بنفسه، أو علاقته بغيره. ويظهر هذا جلياً فى جميع نصوص الكتاب والسنة، وقد جمع الإشارة إلى هذه العلاقات فى آن واحد، حديث رسول الله ﷺ حيث قال: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»(٣).

فأوصى بالإحسان فيها جميعاً، وجعل أساس الإحسان فى الأولى: التقوى، وفى الثانية، فعل الحسنات بعد السيئات، وفى الثالثة: حسن الخلق.

ومن ذلك اهتمام الشريعة بسعادة الإنسان فى دنياه وآخراه، قال تعالى: ﴿**قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى- ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى - قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا- قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى- وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بأيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى**﴾(٤).

---

(١) الآية ٣٨ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ٨٩ من سورة النحل.

(٣) الحديث رواه الترمذى وغيره، انظر سنن الترمذى، كتاب البر والصلة، رقم (١٩١٠).

(٤) الآيات ١٢٣-١٢٧ من سورة طه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى غير ذلك من مظاهر وأدلة تدل عليها.

ومن أدلة الشمول المكانى ومظاهره:

الآيات الكثيرة التى تخاطب العباد بيا أيها الناس، والتى فيها ذكر العالمين أو كافة، دون تفريق بين جنس وجنس، أو لون وآخر، كقوله تعالى: **﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**(١)، وقوله: **﴿قل ياأيها الناس إنى رسول الله إليكم جكميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾**(٢)، وغيرها كثير.

ومن ذلك الأحاديث النبوية المصرحة بعالمية الإسلام، كقوله ﷺ: **«أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى بعثت إلى الأحمر والأسود وكان النبى إنما يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة..»**(٣)، وما إلى ذلك من نصوص كثيرة تؤكد هذا المعنى(٤).

ومن أدلة الشمول الزمانى ومظاهره:

الأدلة الدالة على أن رسالة الإسلام خاتمة الرسالات، وأن الرسول ﷺ خاتم الرسل، كقوله تعالى: **﴿ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين..﴾**(٥)، وكقوله ﷺ: » **«إن مثلى ومثل**

---

(١) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

(٢) الآية ١٥٨ من سورة الأعراف.

(٣) الحديث رواه الإمام أحمد فى المسند (٣-٣٠٤).

(٤) قف على أدلة كثيرة على هذا النوع من الشمول فى كتاب (خصائص الدعوة الإسلامية) لمحمد أمين حسن، ص(١٤٧-٢٢٧) الطبعة الأولى، نشر مكتبة المنار فى الأردن.

(٥) الآية ٤٠ من سورة الأحزاب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة!! قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»[(١)].

إلى غير ذلك من مظاهر وأدلة تؤكد هذه الخصيصة، وسنقف على كثير منها إن شاء الله فى بحث مستقل عن محاسن النظم والأحكام الإسلامية[(٢)].

---

(١) الحديث رواه البخارى فى صحيحه، انظر صحيح البخارى مع الفتح رقم (٣٥٣٥) والفتح (٦-٥٥٨).

(٢) قف على تفصيل لهذه الخصيصة فى كتاب (الخصائص العامة للإسلام) ص١٠٥-١٢٥، وكتاب (خصائص الدعوة الإسلامية) من ص(١٦٧-٢٤٨)، وكتاب (خصائص الشريعة الإسلامية) ص (٥٠-٨٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الخامس

خصيصة التوازن

التوازن والاتزان والموازنة، مشتق فى الأصل من فعل: وازن بين الشيئين موازنة ووزاناً، بمعنى: ساوى وعادل. ومن اتزن العدل، بمعنى اعتدل بالآخر، وصار مساوياً فى الثقل والخفة[١]، فالتوازن: تحقيق حالة من الانسجام والاعتدال بين أجزاء الشئ.

والمراد بتوازن الإسلام: تحقيقه حالة من الانسجام والاعتدال بين جوانبه المتعددة، وهو ماعبر عنه كثير من الكاتبين (بالوسطية) نسبة إلى الوسط، وهو منتصف الشئ أو العدل فيه، كما جاء فى قوله تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**﴾[٢].

وقد اخترت التعبير عن هذه الخصيصة بالتوازن بدلاً عن الوسطية، دفعا لما قد يتوهم من معنى الوسطية، استواء الأجزاء والأطراف المماثلة لهذه الخصيصة، فلايشترط فى التوازن تساوى الأجزاء المتعددة فى الكم، وإنما المقصود من التوازن هنا: تحقيق حالة أو كيفية من الانسجام والاتساق بين هذه الأشياء بحيث تشكل بمجموعها هذه الحالة دون نظر إلى المقدار والكم..

فجسم الإنسان وتركيب الدم فيه متوازن، على الرغم من وجود تفاوت كبير فى حجم أعضائه أو مقدار تركيباته، كما أن كفتى الميزان متوازنتان.

وقد سبق معنا فى الخصيصة السابقة أن من خصائص الإسلام الشمول، بمعنى الإحاطة بجميع حاجات الإنسان ومتطلباته فى هذه الحياة، وإذا كانت

---

(١) انظر (المعجم الوسيط) مادة (وزن) (٢/١٠٤١).

(٢) الآية ١٤٣ من سورة البقرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإحاطة والشمول تعد محسنا من محاسن الإسلام وخصائصه، فإن تحقيق التوازن بين هذه الجوانب المحاط بها، يزيد الإسلام حسناً وجمالاً، ويعد خصيصة أخرى من خصائصه.

فقد يكون الشئ محيطا شاملا من جهة، ولايكون محققا التوازن بين أجزائه، والانسجام بين أطرافه..

أما الإسلام فقد أحاط بجميع الأجزاء والأطراف والجوانب، على وجه منسجم متناسق يزيد من جماله ومحاسنه، ذلك لأنه الشريعة الخاتمة، المستمرة إلى يوم القيامة، أما غيره من الأديان السابقة، فقد جاءت لأقوام معينين فى فترات زمنية محددة، فيكفيها أن تحقق توازنا نسبياً يتناسب مع أقوامها وزمانها..

أما التوازن المطلق فهو من مستلزمات الخلود والاستمرار، فإن الطبيب الذى يعالج مريضا معينا أو حالة خاصة، من حكمته أن يركز فى علاجه على هذا الداء، ويصف له الدواء المناسب له دون نظر إلى غيره من المرضى، أو ماشابهه من الحالات الأخرى، فقد يصلح لهذا المريض دواء لايصلح لغيره، وقد يصلح له هذا الدواء فترة دون أخرى، وهذا لاينقص من خبرة الطبيب وحكته، كما أن وصفته الطبية هذه لاتصلح لأن تكون وصفة عامة لجميع المرضى.. وهذا مثل للرسالات السابقة التى أرسلها الله لأقوام معينين فى فترات خاصة.

ومن مظاهر التوازن فى الإسلام وأدلته:

توازن عقيدته بين الإيمان بالغيب والإيمان بالمحسوس، وبين الاعتماد على التسليم وعلى التفكر والتدبر، وبين العقل والنقل، مماسيأتى بيانه فى محاسن نظام العقيدة.

ومن ذلك توازن أحكام شريعته وأخلاقه بين المادية والروحية، والفردية والجماعية، والمثالية والواقعية وهكذا، مما سنتناول الحديث عنه فى بيان محاسن أنظمة الإسلام المتعددة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقد قال تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾[١].

كما جاء في الحديث الشريف: «وإن لنفسك عليك حقا..»[٢].

وجاء أيضا: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته..»[٣].

إلى غير ذلك من مظاهر التوازن بين العلاقات الإنسانية الثلاث، وبين الإفراط والتفريط، والتسهيل والتعسير، والتقرير والتغيير، وبين تحقيق العدالة، واعتبار التراضي في المعاملات، وبين الحلم والحزم، واللين والشدة في الأخلاق وغيرها.

---

(١) الآية ٨٢ من سورة النساء.

(٢) الحديث رواه البخاري وغيره، انظر صحيح البخاري، رقم (١٨٣٢).

(٣) الحديث متفق عليه، انظر صحيح البخاري، كتاب الجمعة رقم (٨٤٤) ومسلم، رقم (١٨٩٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل السادس

خصيصة العملية

نريد بخصيصة العملية: صلاحية الإسلام للتطبيق فى كل زمان ومكان، فليس الإسلام ديناً نظرياً أو خيالياً مجرداً، وليس واقعياً بمعنى الخضوع للواقع والتكيف معه، وإنما هو دين عملى يصلح للتطبيق فى كل زمان ومكان، وذلك لما احتواه من مزايا المثالية والواقعية.

وقد عبر بعضهم عن خصيصة العملية (بالواقعية)، وابتعدت عن هذا التعبير دفعاً للبس بين عملية الإسلام وواقعية النظم الأخرى، التى يريدون من ورائها التكيف مع الواقع، والرضى به أو الخضوع له.

وعلى الرغم من أن الإسلام دين يتعامل مع الواقع، فيقر منه ماكان سليماً صالحاً ويصلح منه ماكان فاسداً، فيراعى الأعراف والعادات الصالحة المنسجمة مع منهجه وتشريعاته، إلا أنه لايصح أن يسمى واقعياً خشية الالتباس، كما لايصح أن يسمى فى المقابل (مثالياً) فهو وسط بين المثالية والواقعية.

فالتعامل مع الواقع بمنهج متوازن متميز، غير الواقعية، واعتماد المثل العليا، ودفع الإنسان للتطلع إلى الكمال ومواقف القدوة، غير المثالية فى مصطلح الناس، فما حاجتنا إلى الغموض واللبس ولاسيما فى معرض الحديث عن محاسن الإسلام وخصائصه[١].

---

(١) لقد اخترت التعبير بهذا المصطلح (العملية) قديماً اجتهاداً منى فى دفع اللبس الذى أشرت إليه، ثم وقفت حديثاً على كلام جميل للأستاذ محمد قطب حول هذا المعنى يؤكد استعمال هذا المصطلح، وإن لم يزل بعيداً عن مصطلحات الكاتبين فى الخصائص، انظر (شبهات حول الإسلام) ص (٢٠١، ٢٠٧) طبعة دار الشروق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد أشرت فى مقدمة هذا الفصل عن الخصائص، إلى أن خصيصة العملية هى ثمرة الخصائص السابقة كلها، ونتيجة لها، فلولا الربانية أصلاً لما كان الإسلام ديناً عملياً يصلح للتطبيق فى كل زمان ومكان، ولكان كغيره من المبادئ والمذاهب البشرية.

ولولا خصائص: الكمال، والوضوح، والشمول، والتوازن، لما كان عملياً أيضاً، وإنما كان عملياً فى فترة زمنية محددة، ومن هنا أمكن للإسلام أن يطبق على أكمل وجه وأحسنه فى عصوره الأولى، وتابع المسلمون تطبيقه على مدى العصور والأمان، وما عرض عليه من ضعف فى تطبيقه، أو إهمال له، وتطلع إلى غيره فى العصر الحاضر من بعض المسلمين، فإن ذلك لايعود إليه فى حال من الأحوال، لأنه دين الله الذى ارتضاه لعباده ﴿**ألايعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**﴾(١).

وإنما يعود إلى ضعف المسلمين، وغفلتهم عن محاسنه وخصائصه، مما سنتناوله فى المبحث السابع من هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

وفى هذا المعنى يقول الأستاذ محمد قطب: (.. ليس الإسلام نظاماً مثالياً بالمعنى السئ للمثالية، وإنما هو نظام عملي بحت، طبقته البشرية مرة، وهى اليوم أقدر على تطبيقه مما كانت قبل ألف وثلاثمائة عام، لأن تجاربها الطويلة، قربت مابينها وبينه من آفاق..)(٢).

ومن أدلة خصيصة العملية ومظاهرها:

اجتماع الخصائص السابقة فى الإسلام فى وقت واحد، فهو دين ربانى كامل واضح شامل متوازن فى جميع جوانبه ونظمه، وفى مقاصده وغاياته، وفى مناهجه وأساليبه ووسائله.. كما مر معنا سابقاً، وسيأتى لاحقاً فى الأبحاث القادمة إن شاء الله.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن أدلة ذلك: تطبيقه فى أكمل صورة فى زمن النبى ﷺ وصحابته الكرام ليظهر جماله عملياً، وتقام الحجة على الناس بذلك فى العصور الأخرى..

ومن هنا تظهر بعض جوانب الحكمة من وقوع أفراد من الجيل الأول جيل الصحابة الكرام فى بعض المعاصى والآثام، وذلك لتطبيق العقوبات والحدود الشرعية عملياً فى حياة ذلك الجيل القدوة، ولاتبقى تشريعات الإسلام فيها نظريات مجردة، فيصعب على الناس تطبيقها فيما بعد.

فوجد فى ذلك الجيل من وقع فى الزنا والسرقة وشرب الخمر، ووفقه الله ليكون قدوة فى توبته واعترافه بذنبه، وطبق عليه الرسول ﷺ الحد من الرجم والجلد والقطع وما إلى ذلك أمام مشهد من أصحابه، لينقله الصحابة إلى من بعدهم من المسلمين..

ومع بروز هذه الحكمة فى هذا الجانب، وجدنا فى العصور المتأخرة من لايتفهم مثل هذه الحدود، ويخجل من تطبيقاتها، ويحاول عبثاً أن يجد المبررات لتركها والإعراض عنها، فكيف بها لو لم تطبق فى عصره ﷺ ذلك التطبيق[٣]!!.

ومن هنا جاء إنكار الله عز وجل شديداً على أهل الكتاب الذين يتهربون من حكم الله، وتطبيق شرعه الذى ارتضاه لهم، والذى جاء الإسلام من بعده مصدقا له ومهيمناً عليه، فقال تعالى: ﴿**وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون- وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه**

---

(١) الآية ١٤ من سورة الملك.

(٢) انظر (شبهات حول الإسلام) ص ٢٠٧.

(٣) لقد سبق إلى بيان هذه الحكمة والدى- رحمه الله تعالى- فى كتابه (من محاسن الإسلام) انظر ص(٢٠٩، ٢١٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهوائهم عما جائك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فى ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون- وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون- أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾[1].

---

(١) الآيات ٤٧-٥٠ من سورة المائدة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل السابع
أبرز المؤثرات فى خصائص الإسلام، وطريق علاجها

وفيه مطلبان:

أ) أبرز المؤثرات فى خصائص الإسلام.

ب) معالم فى طريق علاج هذه المؤثرات.

لقد أثرت فى خصائص الإسلام عوامل عديدة فى حياة المسلمين، فشوهت من جمالها ومحاسنها، وعطلت بعض وظائفها فى واقع الحياة، وذلك على مختلف عصور المسلمين بعد العصر النبوى الأول، على درجات متفاوتة، حتى تعاظمت آثارها اليوم، فجعلت كثيراً من المسلمين يسيئون للإسلام بمفاهيمهم وتصرفاتهم من حيث يشعرون أو لايشعرون..

فأصبحت تلك الخصائص العامة الكبرى فى حياتهم مشوبة غير صافية، وتحولت بعض المحاسن الحقيقية للإسلام إلى صورة مساوئ فى عيون كثير من الضعفاء، فأخذوا يعرضون عن كثير من أنظمته وأحكامه، ويتطلعون إلى بدائل عنها فى الأنظمة والقوانين البشرية، وبعدت الشقة بينهم وبين إسلامهم.

ولخطر هذه المؤثرات والعوامل على فهم حقيقة الإسلام، والحرص عليه، أفردت لها فصلاً خاصاً بعد عرضها على حقيقتها فى الفصول السابقة.

المطلب الأول
أبرز المؤثرات فى خصائص الإسلام

لعل من أبرز هذه المؤثرات مايلى:

١- إساءة فهمها من قبل كثير من المسلمين، فقد أساء كثير من المسلمين فهم إسلامهم، فتصوروا كثيراً من أحكامه على غير حقيقتها، فسادت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حياتهم مفاهيم عديدة باسم الإسلام، وليست منه، وإنما جاءت من تزيين الشيطان لهم، أو من مخالطتهم لغير المسلمين، أو من المسلمين الجدد الذين لجأوا إلى الإسلام من حضارات أخرى مادية، شرقية أو غربية، ولم يتمكنوا من التخلص منها أو لم يتنبهوا لها.. من ذلك فهم العقل على غير حقيقته، فأنزله بعضهم فوق منزلته، وعطل آخرون وظيفته، وصار الناس فيه صنفين: صنف يقدسه ويقدمه على النقل الصريح الثابت، ويخوض به فى مجال الغيبيات، فضل وأضل..

وصنف يهمله ولايعمله، ويتقبل النصوص جامدة، ويتغافل عن عللها وحكمها، فيوقع الناس فى التعارض بين النقل والعقل..

وما ضلال المعتزلة بعقلهم، وتطرف بعض من انتسب لأهل الحديث والرأى فى حياة الأمة بخاف على أحد، ولاتزال آثار هذين الاتجاهين تبرز فى حياة المسلمين هنا وهناك، على مدى العصور وتعاقبها..

ومن ذلك: فهم الزهد فهماً خاطئاً، حتى انطلقت فى حياة الأمة دعوات إلى الفقر والتزهد، والبعد عن الطيبات والمباحات، وأصبحت منهجاً متميزاً فى حياة كثير من المسلمين، ومال إليه كثير من المتصوفة، واختاروا لأنفسهم مصطلح (الفقراء) حتى وقع بعض غلاتهم فى الأمراض والأوساخ باسم الإسلام، ولم يعودوا يفهموا للصحة والقوة الجسدية معنى، ولم يعد للنظافة الإسلامية أثراً فى حياتهم.. وحسب هذا على الإسلام أيضاً.

ومن ذلك: فهم الخلاف العلمى فى استنباط الأحكام الشرعية فهماً خاطئاً، فانطلقت فى المسلمين دعوات تنكر الخلاف العلمى بجميع أنواعه، وتضرب بالخلاف العلمى عرض الحائط، حتى ولو كان الخلاف صادراً عن أهله من الصحابة الكرام أو الأئمة المتبوعين، والعلماء الموثوقين.. حتى وصل الأمر ببعض المنسوبين إلى العلم يتصور فهمه ورأيه فى المسألة الاجتهادية نصاً

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شرعياً يجب الأخذ به، وفهم الآخرين من علماء الأمة السابقين أو المعاصرين قولاً بشرياً يجب تركه والتبرء منه.. مما شوه الصورة الصحيحة للخلاف العلمي، وزاد المتعصبين للآراء العلمية تعصباً على تعصب، ونظر الآخرون للآراء العلمية، والمذاهب الفقهية نظرتهم إلى الأديان والفرق المتباينة..

إلى غير ذلك من مظاهر كثيرة لإساءة فهم الخصائص والمحاسن العامة والخاصة..

٢- عدم تطبيق كثير من أنظمة الإسلام وأحكامه: وهو مانسميه: (انفصال الفكر عن التطبيق)، فقد هجر كثير من المسلمين بعض أنظمة الإسلام العامة، وبعض أحكامه الخاصة، واكتفوا بالإيمان بها نظرياً، وهجروها عملياً، فانفصل علمهم عن عملهم، وفكرهم عن تطبيقهم.. حتى أصبحت تجد في المسلمين من يتحدث أو يكتب عن محاسن الإسلام، فإذا بحثت عنها في سلوكه أو في سلوك أسرته أو مجتمعه لاتجد لها أثراً واضحاً، وكأنه يتحدث عن شئ نظرى، أو يكتب عن نظام خيالى أو مثالى لا أثر له في حياة الناس، ممازهد كثيراً من الناس في الإسلام، وجعلهم يفهمونه على غير حقيقته، ويظنون صلاحيته خاصة بالقرون الأولى.

ولا عجب أن يقول المدعوون إلى الإسلام بهذا الأسلوب النظرى البعيد عن التطبيق: لو كان هؤلاء الدعاة صادقين في دعوتهم، مصيبين في فهمهم للإسلام، وصلاحيته للتطبيق، لطبقوه على أنفسهم وعلى من يلوذ بهم، وحرصوا عليه قبل غيرهم، فيشككون في دعوتهم.

ومن هنا جاء النكير شديداً على الذين يخالف علمهم عملهم، وينفصل فكرهم عن سلوكهم في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فقد جاء في القرآن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكريم: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون- كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالاتفعلون﴾[١].

وجاد فى الحديث الشريف: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كمايدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يافلان، مالك!! ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فيقول: بلى قد كنت آمر بالمعروف ولاآتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه»[٢].

ومأأكثر مظاهر هذا الانفصال بين العلم والعمل، والفكر والتطبيق فى حياة الأمة!.

٣- إساءة تطبيق الأنظمة والأحكام الإسلامية: فقد أساء كثير من المسلمين اليوم إلى محاسن الإسلام وخصائصه بإساءة تطبيقهم لهذا الإسلام، كما أساء الآخرون إليه بعد تطبيقه، فوقع كثير منهم فى التطبيق الجزئى للإسلام، أو فى عدم التوازن في التطبيق.

فكم فى المسلمين من طبق الإسلام نظاماً دون نظام، أو خضع فيه لحكم دون آخر، فيأخذ من الإسلام مابدا له، أو سهل عليه وانسجم مع شهواته ورغباته، ويترك منه ما بدا له، أو عسر عليه، أو تعارض مع شهواته ورغباته، فجزأ بذلك من وحدة الإسلام المتماسكة القوية..!

وقد غفل هؤلاء وأولئك عن وحدة الإسلام المتماسكة، وعن توازنه والتناسق بين أحكامه، كما غفلوا عن أثر هذه الوحدة والتوازن فى إبراز محاسنه، وإقبال الآخرين عليه، فنفروا منه من حيث لايشعرون.

---

(١) الآيات ٢-٣ من سورة الصف.

(٢) الحديث متفق عليه، انظر صحيح البخارى، كتاب بدء الخلق، رقم (٣٠٢٧)، وصحيح مسلم رقم (٢٩٨٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن مثل من يجزئ فى تطبيقه للإسلام، أو يخل بتوازنه، مثل من يفصل عضواً عن أعضاء الجسد الإنسانى الواحد المتناسق، ويعرضه على الآخرين بأنه الإنسان، فينفر منه ويصور محاسنه مساوئ.

أو مثل من يضخم عضواً من أعضاء جسده على حساب الأعضاء الأخرى، فيظهر الجسد على أنه إنسان مشوه معتوه.. أو مخلوق معاق.. حتى لو كان هذا العضو المضخم من الجسد رأساً.

فأى جمال فى رأس إنسان جميل إذا فصل عن جسده وعرض على الناس؟!.

وأى جمال فى جسد تضخم فيه الرأس أو الأنف على حساب الجسد كله!؟

ومن هنا جاء النكير شديداً على من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض فقال تعالى: ﴿**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون- أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون**﴾(١).

٤- انفصال الفكر عن الفقه، والعقل عن النقل: لقد أصيبت الدعوة الإسلامية اليوم بظاهرة خطيرة، حيث انفصل فكر كثير من الدعاة عن فقههم، فأصبحت تجد فى صفوف الدعاة رجالاً مفكرين، اهتموا بواقع الإسلام والمسلمين، وأعملوا فى إصلاحه عقولهم، وعاشوا كثيراً من مشكلات الناس وقضاياهم، ولكنهم لم يكتب لهم أن ينشأوا فى بيئات

---

(١) الآيات ٨٥-٨٦ من سورة البقرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

علمية، أو يتلقوا العلم فى مدارس شرعية أو حلقات فقهية، فتناولوا مشكلات الأمة بفكرهم، وعالجوا المعضلات بعقولهم دون الاعتماد على أصول علمية، أو استنارة بنصوص شرعية، أو انضباط بقواعد فقهية.. وهكذا، حتى ظهرت لهم آراء وأفكار كانت محل إعجاب واتباع من قبل الناس، وأصبح لبعضهم مدارس فكرية، ومناهج تربوية ينشأ الناس عليها، ويتربون فى أحضانها.

فتوجه الناس إليهم بأسئلتهم الشرعية، وصدرت عنهم الفتاوى العجيبة، وساهموا فى الانحراف من حيث أرادوا الإصلاح، وجروا الأمة بفتاواهم إلى الشر من حيث أرادوا الخير.. وساعد على انتشار هذه الظاهرة قلة العلم وانتشار الجهل من جهة، وانزواء العلماء والفقهاء عن ميادين الإصلاح من جهة أخرى.

وترتب على فشو هذه الظاهرة عدة أمور منها:

١- الوقوع فى الضلال والإضلال، الذى حذر منه الرسول ﷺ بقوله: «**إن الله لايقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»(١).

٢- وقوع شباب الأمة فى الاضطراب والحيرة، وشعورهم بالتناقض بين العلم والفكر، أو بين العقل والنقل.

٣- اضطراب موازين الأمة، وتداخل الدوائر، واستواء العالم بالجاهل..

---

(١) الحديث متف عليه، انظر صحيح البخارى، مع الفتح رقم (٩٨) والفتح (١/١٩٤)، وصحيح مسلم رقم (٢٦٧٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥- اختلاف المسلمين حول بعض المحاسن الإسلامية، وتفرقهم تجاهها، وشيوع التعصب فيهم: فقد دب الخلاف فى حياة المسلمين فى كثير من أمورهم، ولم يقتصر اختلافهم على المسائل الفرعية، بل تعداها أحياناً إلى المسائل الأصلية والقطعية، مما فرق صفوفهم، وجعلهم شيعاً وأحزاباً، وشاع بينهم التعصب الذميم لآرائهم وانتماءاتهم، وانعكس هذا كله على خصائص الإسلام ومحاسنه بينهم، مما شوه صورته بين المسلمين، وحجب محاسنه عن غيرهم..

حيث افترق المسلمون من وراء اختلافهم الجائز وغير الجائز إلى فرق عقدية، وفرق سياسية، وجماعات تربوية ودعوية.. كل منها يعرض الإسلام من مرآته، وبحسب فهمه واجتهاداته، فيتعصب لها المتعصبون، ويتباعد بسببها المسلمون.

هذه هى أبرز المؤثرات فى خصائص الإسلام والمشوهة لمحاسنه، وكلها مؤثرات داخلية ذاتية، نشأت من داخل نفوس المسلمين، وانبثقت من بعدهم عن إسلامهم، وتساهلهم فى التمسك به، وابتعادهم عن منهج أسلافهم، كما ساهم فى إيجادها وتعميقها مكر أعدائهم، وتفننهم فى أساليب إبعاد المسلمين عن دينهم عن طريق الشهوات والشبهات، حيث انتشرت فى حياة المسلمين الشبهات، وجذبت كثيراً منهم الشهوات، فالتبس عليهم الحق بالباطل، حتى كاد يصبح المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، ويرى القبيح حسناً، والحسن قبيحاً، وقديماً قال الشاعر:

يقضى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المطلب الثانى

معالم فى طريق علاج هذه المؤثرات

إن علاج مثل هذه المؤثرات السابقة يتطلب من المسلمين جميعهم تفهماً كبيراً، وحكمة بالغة، وصبراً جميلاً، وذلك لما لها من أثر كبير فى حياة الأمة على جميع المستويات، وفى مختلف الميادين.

وقد ساهم كثير من المصلحين فى علاجها، وبذلوا جهوداً مشكورة فى سبيل ذلك، لايتسع المقام لحصرها والحديث عنها، لذارأيت الاكتفاء هنا، بوضع معالم عامة لعلاجها، مع الإشارة إلى بعض الجهود المبذولة فى سبيلها رغبة فى الاختصار، وسأرتب هذه المعالم بحسب ترتيب المؤثرات فى المطلب الأول، فأقول:

١- لابد لعلاج المؤثر الأول: من تصحيح المفاهيم الإسلامية، ومعالجة أخطائها بين الناس، إذ لايمكن إصلاح السلوك قبل إصلاح المفاهيم، فيوم كانت مفاهيم المسلمين عن إسلامهم مفاهيم صحيحة نقية، صح سلوكهم، واستقام أمرهم، وحصنتهم مفاهيمهم الصحيحة من الشبهات، وحجزتهم عن سلوك سبيل الشهوات، فسعدوا بخير إسلامهم، ونشروه بين الناس، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً.

وتصحيح المفاهيم مهمة المصلحين والمجددين، ووظيفة العلماء العاملين، والدعاة الربانيين الذين أخذوا عن الله ورسوله دينهم، وتمسكوا بما كان عليه أسلافهم، فلم يشب إسلامهم شائبة، ولم يداخل خيرهم دخن.

فهم أولى الناس بهذه الأمة، يعلمون الناس دينهم، وينفون عنه تحريف المحرفين، ومغالات المغالين، وتقصير المقصرين، لايصدهم عن مهمتهم شئ، ولايصرفهم عنها صارف، يكشفون بحكمتهم وعلمهم وجه الحقيقة، لايخافون فى الله لومة لائم.. يفتحون بإخصلاصهم قلوب الناس، ويصححون بصدقهم مع الله عقولهم وسلوكهم.. تؤثر فى الناس أحوالهم قبل أقوالهم، وتصدق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أقوالهم أفعالهم، يرى الناس فيهم قرآنا يتحرك، وقدوة حسنة فى جميع مايدعون إليه.

وليست هذه صفات الأنبياء والمرسلين، أو طبقة خاصة من الصديقين فحسب، وإنما هى فى متناول العلماء العاملين، والدعاة الصادقين الذى يتصدون لهذه المهمة، فيبذلون فى سبيل ذلك وسعهم، ويجاهدون عليها نفوسهم، فمن يصدق الله يصدقه، وقد قال تعالى: ﴿**والذين جاهدوا فينالنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين**﴾(١).

٢- كما لابد لعلاج المؤثر الثانى: من حرص على تطبيق الإسلام العظيم فى النفس والأسرة والمجتمع، وعلى جميع المستويات وفى مختلف الميادين، فالفرد المسلم المطبق لإسلامه، رجلاً أو امرأة نواة فى بناء الأسرة المسلمة، والأسرة المسلمة الملتزمة بإسلامها، الحريصة عليه نواة فى بناء المجتمع الذى تعيش فيه، والأسر المسلمة السليمة أساس للمجتمع المسلم، والدولة المسلمة المطبقة حارسة لدين الله، منصورة به، وداعية إليه، تكون قدوة لغيرها من الدول، كما يكون الفرد المطبق قدوة لغيره من الأفراد، والأسرة قدوة لغيرها من الأسر.. وهكذا..(فليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل)(٢).

وتطبيق الإسلام اليوم بحاجة إلى مبادرات شخصية من قبل الأفراد الأسر والمجتمعات والدول، كما هو بحاجة إلى نيات صادقة، وعزائم قوية، ومناهج حكيمة، ولا يضير العازمين على تطبيقه، طول الطريق، وكثرة العقبات، فمن جد وجد، ومن سار على الدرب وصل.

---

(١) الآية ٦٩ من سورة العنكبوت.

(٢) روى معنى هذا الكلام عن الحسن البصرى- رحمه الله- بسند جيد، وليس هو حديث مرفوع، انظر فيض القدير (٥/٣٥٦).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالتمكين والنصر، فقال:

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لايشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون- وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون- لاتحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير﴾(١).

وقد جاء فى الأحاديث الشريفة الوعد بعودة الخلافة الراشدة على منهج النبوة، كما جاء الوعد باستمرار وجود الطائفة القائمة بالحق، والظاهرة عليه، فلتحرص كل دولة مسلمة على أن تكون محل الوعد، فتحظى بشرف السبق، وليحرص كل مؤمن على أن يكون من تلك الطائفة الصادقة فيحظى بنعمة النصر..

وليحذر الجميع من شر الفتنة والعذاب المترتب على عدم تطبيق شرع الله، فقد قال عز وجل: **﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب إليم﴾**(٢).

٣- ولابد لعلاج المؤثر الثالث: من حرص على تطبيق الإسلام تطبيقاً كاملاً صحيحاً متوازنا، على جميع المستويات الفردية والجماعية.

فلا يقتصر الأفراد ولا الدول على نظام من نظم الإسلام دون غيره، أو على الخضوع فى حكم دون آخر، فيكون مثلهم مثل من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض- كما سبق.

---

(١) الآيات ٥٥-٥٧ من سورة النور.

(٢) الآية ٦٣ من سورة النور.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وليعلم الفرد المسلم والدولة المسلمة، أنه لايسلم لهم وصف كمال الإيمان والإسلام إلا بالأخذ به جملة وتفصيلاً.. ولا يتمتعون بسعادة هديه، والخير المترتب عليه فى الدنيا والآخرة إلا بذلك، لأن الإسلام وحدة كاملة لايتجزأ، تترابط أنظمته وأجزاؤه كترابط أطراف الجسد الواحد وأجهزته..

ولايعنى هذا المطلب أن تطبق الأحكام جميعها فى لحظة واحدة، ولكن يمكن أن ترتب الأولويات فى ذلك ترتيباً حكيماً بعد العزم الصادق على التطبيق كله.. فإن الفساد الذى شاع على مدى العصور والأيام لايمكن أن يصلح مرة واحدة، وإن البعد والانحراف الذى حصل لايمكن أن يتلافى دفعة واحدة، لم يحصل ذلك فى عهد رسول الله ولا فى عهد خلفائه الراشدين، وإنما حصل ضمن خطة سليمة حكيمة، تنزل بها القرآن، وطبقها الرسول عليه الصلاة والسلام، ومشى عليها خلفاؤها الراشدون.

وعندما تعجل بذلك فى الماضى بعض المتعجلين، احتج الخلفاء عليهم بمنهج القرآن فى التدرج، فقد روى أن عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه، قال لأبيه يوماً بعد أن رأى عزمه على الإصلاح، ورغبته فى العودة إلى ماكانت عليه الخلافة الرشادة، قال له: (مالك لاتنفذ الأمور؟ فوالله ما أبالى لو أن القدور غلت بى وبك فى الحق!! فقال له عمر: لاتعجل يابنى، فإن الله ذم الخمر فى القرآن مرتين، وحرمها فى الثالثة، وإنى أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة، فيدفعوه جملة، ويكون من ذا فتنة)[1].

والفرق كبير بين من يريد أن يأخذ من الإسلام شيئاً، ويترك شيئاً آخر، أو يطبق نظاماً من نظمه، ويختار من غيره أنظمة أخرى.

وبين من يريد الإسلام كاملاً، ويحرص على جميع أنظمته، ولكنه يضع لذلك منهجاً متدرجاً حكيماً ليعالج الأوضاع، ويصلح الأحوال..

وسبحان من لايخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء، ولا يستوى عنده الصادق والكاذب، ولا المجاهد والقاعد..

---

(١) انظر (الموافقات) للشاطبى، (٢/٩٣-٩٤)، ط. الشيخ عبدالله دراز.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤- كما لابد لعلاج المؤثر الرابع: من تنبه إلى خطره أولاً، وتعاون من قبل الفقهاء والمفكرين وشباب الصحوة فى سبيل التخلص من ظاهرة انفصال الفكر عن الفقه، والسلامة من آثارها فى الدعوة الإسلامية، وذلك بالعمل بالتوصيات التالية:

أ- على العلماء والفقهاء أن يخرجوا من عزلتهم، ويوسعوامن افاقهم، ويأخذوا مواقعهم فى صفوف الدعوة الإسلامية، ويعيشوا مشكلات الناس وقضايا عصرهم، ويحسنوا من أساليبهم ووسائلهم، ويكثروا من عطائهم، ليحافظوا على ميراث نبيهم ﷺ، فهم ورثة الأنبياء، والقيادات الطبيعية لهذه الأمة.

ب- على العلماء والفقهاء أن يوحدواصفوفهم، ويتآلفوا فيمابينهم، ويتقاربوا فى مناهجهم وأفكارهم، ويعملوا على توسيع دائرة الاتفاق بينهم، وتضييق دائرة الاختلاف، وليحصروا خلافاتهم فيما بينهم، ولاينشروها على الناس فى الصحف والمجلات، فيشوشوا بهاأذهان الناس من جهة، ويستغلها أعداؤهم من جهة أخرى.

جـ- على العلماء أن يعرفوالأهل الفكر والفضل فضلهم، ويستنيروا بفكرهم وآرائهم، لتسدد فتاواهم، وتصح أحكامهم، فلاغنى لهم عن فكر الآخرين وتجاربهم، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل أهل الفضل.

د- على أصحاب الفكر أن يستشعروا بحاجتهم إلى العلم والفقه، ليكملوا به عقولهم، ويسددوا بضوابطه فكرهم، فإنه لن يشفع لهم عند الله ولاعند الناس حسن نيتهم، وسلامة مقصدهم، وكثرة اهتماماتهم فحسب.. فالمسؤولية كبيرة، وحساب كل امرئ على قدر عقله وفهمه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هـ- على أصحاب الفكر أنيرجعوا إلى أهل العلم والفقه في فتاواهم، ويتعاونوا في سبيل الوصول إلى الحكم الصحيح، وليحذروا الاستقلال بالأحكام والفتاوى عنهم، فالمسؤولية كبيرة من جهة، ولابد من الاعتراف بالتخصصات العلمية من جهة أخرى.

و- على أصحاب الفكر والفقه معاً أن يوقفوا المعركة القائمة بينهم، ويسدوا الفجوة بين المفكرين والعلماء، ويجعلوا علاقتهم فيما بينهم علاقة حب وتعاون وتناصح، ليكمل بعضهم الآخر، فلا معركة إلا مع العدو، ولا مفاصلة إلا بين أهل الحق والهدى من جهة، وبين أهل الباطل والضلال من جهة أخرى.

ز- على شباب الأمة أن يعرفوا للطرفين قدرهم، ويميزوا بين العلم وغيره، فيستفيدوا من فكر المفكرين، فقه الفقهاء كل في دائرته، وليعلموا أن هذا العلم دين فلينظروا عمن يأخذون دينهم.

ح- على شباب الأمة أن يقبلوا على العلم والتعلم، ويصبروا على طلب العلم، فيكثروا من صحبة العلماء والأخذ عنهم، والرجوع إليهم، وينهلوا من ميراث رسول الله ﷺ، فإنه لاسعادة لهم ولا نجاة في الدنيا والآخرة إلا بالعلم، ومن يرد الله به خيراً يفقه في الدين.

ط- على شباب الأمة أن يتفهموا اختلاف العلماء في اجتهاداتهم، ويتحلوا بالأدب مع علمائهم، ويميزوا بين الخلاف المقبول والمردود، ولاينزلوا المختلف فيه من الأحكام منزلة المتفق عليه، وليقابلوا الاجتهادات المتنوعة كلها بالاحترام والتقدير، ولايحولوا النعمة إلى نقمة، والرحمة إلى عذاب، فيستبدلوا بالسعة ضيقاً!!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى غير ذلك من توصيات ومعالم فى طريق علاج هذا المؤثر [١].

٥- كما لابد لعلاج المؤثر الخامس من تعاون المسلمين على تطبيق الإسلام وتجلية خصائصه ومحاسنه عملياً فى حياتهم، وعدم تفرقهم حولها، محققين فيما بينهم وحدة القلوب، ووحدة الفكر، ووحدة العمل منطلقين فى ذلك من ضوابط الاتفاق والاختلاف ، ومتحلين بأدب الخلاف العلمى الذى كان عليه أسلافهم.

وليعلموا أنه لايجوز التفرق بسبب الاختلاف فى المسائل الاجتهادية الظنية- وإن جاز فيها الخلاف-، أما فى المسائل البينة القاطعة فلا يجوز الاختلاف ولا التفرق، قال تعالى بعد أن أمر المؤمنين بالوحدة والاعتصام بحبله، ونهاهم عن التفرق: ﴿**ولا تكونواكالذين تفرقواواختلفوا من بعد ما جائهم البيانات وأولئك لهم عذاب عظيم**﴾[٢]، فأنكر تفرقهم واختلافهم تجاه المسائل البينة القاطعة، فلا يصح تعميم الحكم على المسائل الظنية المحتملة إلا فى جانب التفرق فقط، عملاً بالأدلة الأخرى، والواقع العملى لاختلاف السلف فيما بينهم.

ولعل من أولى الواجبات الدعوية اليوم العمل الجاد على معالجة تلك المؤثرات بجميع أنواعها، ليعود للإسلام جماله وصفاؤه بين المسلمين أولاً، ولتنعكس محاسنه على جميع الناس ثانياً، فتقوم الحجة بذلك على العالمين..

كتبه

د. محمد أبوالفتح البيانونى

---

(١) قف على تفصيل لنشأة ظاهرة انفصال الفكر عن الفقه، وآثاراها وطريق علاجها فى محاضرة لى بعنوان (ظاهرة انفصال الفكر عن الفقه، وخطرها على الدعوة الإسلامية، نشرتها اللجنة الثقافية لرابطة الشباب المسلم العربى فى أمريكا عام ١٤١١هـ.

(٢) الآية ١٠٥ من سورة آل عمران.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن القيم، دار الجيل.

٣- خصائص التصور الإسلامى: سيد قطب .

٤- خصائص الدعوة الإسلامية: محمد أمين حسن، الطبعة الأولى، نشر مكتبة المنار فى الأردن.

٥- خصائص الشريعة الإسلامية: د. عمر سليمان الأشقر.

٦- الخصائص العامة للإسلام: د. يوسف القرضاوى.

٧- سنن ابن ماجه: برنامج الحديث الشريف لشركة صخر.

٨- سنن الترمذي: برنامج الحديث الشريف لشركة صخر.

٩- شبهات حول الإسلام: محمد قطب، طبعة دار الشروق.

١٠- صحيح البخارى: برنامج الحديث الشريف لشركة صخر.

١١- صحيح مسلم: برنامج الحديث الشريف لشركة صخر.

١٢- ظاهرة انفصال الفكر عن الفقه، وخطرها على الدعوة الإسلامية: د. محمد أبو الفتح البيانونى، نشر اللجنة الثقافية لرابطة الشباب المسلم فى أميركا، عام ١٤١١هـ.

١٣- فتح البارى: ابن حجر العسقلانى، دار المعرفة.

١٤- فيض القدير: المناوى.

١٥- لسان العرب: ابن منظور.

١٦- المسند: الإمام أحمد بن حنبل.

١٧- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية فى القاهرة.

١٨- من محاسن الإسلام: أحمد عز الدين البيانونى، طبعة دار السلام، القاهرة.

١٩- الموافقات: الشاطبى، بتعليق الدكتور عبدالله دراز.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner